بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى؛ أما بعد: فإن من الأمور المهمة الذي يجب على طالب العلم أن يتنبه لها، وينتبه إليها، ويكون على ذُكر منها -دائما وأبدا- عند البحث في الكتب والمراجعة خاصة: عدم النقل من أي كتاب؛ قبل التأكد من صاحب الكلام الموجود في الكتاب الذي سينقل عنه، ويوثق منه!

فكثيرا ما يقوم المحققون والباحثون بالرجوع إلى المصادر والمراجع؛ للبحث عن شيء معين، أو توثيقه ونحو ذلك؛ وهذا أمر محمود، وفعل طيب؛ لكن الكثير منهم -أو أكثرهم- لا يتحقق من صاحب الكلام المرجوع إليه؛ فمبجرد الرجوع إلى كتاب ما = يظن أن الكلام لصاحب الكتاب نفسه؛ وليس الأمر كذلك! فينسب الكلام لغير صاحبه = وهذا يترتب عليه عدة محاذير.

وفي الحقيقة أن الناظر في الكتب: يجد كثيرا من المؤلفين ينقلوون كلاما لغيرهم؛ وقد يقصر الكلام المنقول أحيانا، وقد يطول أحيانا أخر؛ وقد وقفت في مثل هذه الكتب على نقولات عن بعض الكتب تصل إلى عشرات الصفحات، نعم، ليس صفحة، ولا عشرا، ولا عشرين، بل عشرات الصفحات بلا مبالغة؛ مع تنصيص النقل على صاحب الكلام في ابتداء نقله، أو في انتهائه؛ فقد يقول -مثلا-: قال فلان كذا، ويأتي بكلام، ثم يختم كلامه بقوله:

انتهى، أو انتهى كلامه، ونحو ذلك ذلك من العبارات، وقد ينص على اسم صاحبه عند الانتهاء من نقل كلامه، ولهم في ذلك عبارات متنوعة.

وهذه النقولات عن الكتب ليست محصورة في كتاب أو اثنين، بل في العديد من الكتب، لكن في بعض الكتب تكون النقول طويلة جدا جدا! فيأتي الباحث –عند رجوعه إلى هذا المصدر أو ذاك المرجع– فينقل الكلام = ظانا أنه لصاحب الكتاب، وليس الأمر كذلك؛ فيقع في مطبات! خاصة إذا كان المنقول باطلا في حد ذاته؛ وإنما نقله المؤلف لبيانه، أو الرد عليه! فيأتي هذا الباحث وينسب هذا الكلام إلى صاحب الكتاب، وهو بريء منه!

ولا ينجي من هذا المسلك إلا الطريقة الشاكرية والطناحية؛ وهي: أن يقرأ الكتاب من الجلدة إلى الجلدة؛ وعندها يعلم الباحث الكلام الذي للمؤلف، والكلام المنقول: طويلا كان أم قصيرا! ويعلِّم على ابتداء النقل وانتهائه، ويُعلِّم –كذلك– على كل صفحة بأن هذا الكلام من مقول فلان، وليس من مقول صاحب الكتاب!

وهذه الطريقة شاقة ومتعبة، ولا يستطيعها ضعاف الهمة خاصة، لكنها كثيرة الفوائد، جمة العوائد.

ومما ينجي: معرفة المؤلفين الذين عرفوا بالإطالة في النقل عن غيرهم؛ فيحذر عند النقل من كتبهم، ويتوقَ؛ قبل نسبة الكلام إليهم.

ومما ينجي -أيضا- معرفة أسلوب المصنف وطريقته في الكتابة؛ فالتمرس على أساليب المؤلفين، ومعرفة طرائقهم في سبك الكلام وصوغه = يساعد على هذا؛ فأحيانا تقرأ كلاما ما، وينسب إلى عالم من العلماء؛ فتجزم في نفسك، وتقطع في قرارة نفسك أن هذا الكلام ليس له، وإنما هو منحول عليه؛ ويتبين هذا عند المراجعة والبحث والفتش.

ومما ينجي -كذلك-: تقليب صفحات الكتاب قبل الكلام المراد نقله، وبعد الكلام المراد نقله؛ فغالبا؛ ما ستجد ما يدل على أن الكلام منقول -إن كان كذلك-، خاصة إذا كان الكتاب محققا، والقائم على تحقيقه من المتقنين، وأصحاب صنعة في التحقيق.

وغير ذلك من الأمور المساعدة التي تكشف لنا صاحب الكلام، وتميز لنا من هو.

ولقد وقفت على شيء ليس باليسير في نسبة أقوال إلى غير أصحابها؛ وبعضها وقع من علماء كبار -ياللأسف!-!

لذا أنصح طلبة العلم بأن يترثوا عند النقل، وأن يهتموا بهذه القضية؛ وهذه القضية هي أحد أسباب الإخلال في النقل، وقد أوقعت كثيرا من العلماء -فضلا عن الباحثين والمحققين وطلاب العلم العصريين- في مطبات.

وأخيرا: لابد من البوح بشيء والتصريح به؛ وهو: أن هناك كتبا لا ينفع أن يرجع إليها مجرد رجوع فقط، دون قراءتها بالكامل؛ من أولها إلى آخرها = قراءة متأنية؛ وحبذا ألا تقطع هذه القراءة بقراءة أي كتاب آخر.

فهناك نوع من الكتب لابد أن تقرأ من الجلدة إلى الجلدة؛ سواء أكانت صغيرة في مُجَيْليد، أم كبيرة في عدة مجلدات؛ وسواء أخذتَ بالطريقة الشاكرية والطناحية أم لا تأخذ بها! يجب عليك وجوبا صناعيا قراءة هذا النوع من الكتب قراءة كاملة من أولها إلى آخرها، دون الاكتفاء بالرجوع إليها؛ لأن مجرد الاكتفاء بالرجوع إليها = سيؤدي بك حتما إلى مزالق ويوقعك في مطبات؛ فكن من كلامي هذا على ذُكْرٍ.

و(عند الصباح يحمد القوم السُّرَى).

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وكتب: أبو عبدالخالق أشرف بن صابر: قبيل إقامة صلاة العصر من يوم الجمعة ، ثم زدت فيه وعدله عند الساعة (6:26) من عشية اليوم نفسه (14 – المحرم – 1444 هجرية) الذي يوافقه من التاريخ الصليبي (12 – 8 – 2022).